

## المدارس الوصفية في اللسانيات الغربية :

شهدت الدراسات اللغوية العربية الحديثة تطورا ملحوظا وذلك عائد إلى اتصال الدرس اللساني العربي بالدرس اللساني الغربي، الأمر الذي أدى إلى ظهور عدة نظريات ودعوات ترمي إلى تأسيس درس لغوي عربي حديث قائم على مبادئ غربية في دراسة اللغة العربية، فحدث تمازج منهجي تباينت من خلاله نماذج القراءات المهمة بالتراث العربي، وبهذا تنتزل علاقة اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي من خلال ما جاء به علماء اللغة العرب المحدثون، وما قاموا به من جهد في إعادة وصف اللغة العربية من منظور لساني غربي.

ولفهم الدرس العربي الحديث القائم على أسس غربية، لا بد من الاطلاع على أهم المبادئ اللسانية والمدارس الغربية الرائدة التي كان لها الأثر في علمائنا المحدثين وتوجهاتهم المنهجية، وذلك بدءاً من أصل اللسانيات الوصفية عند دي سوسير، الذي بزغ نجمه في مطلع القرن العشرين.

فقد عرف القرن العشرون تحولا هاما في تاريخ الفكر اللساني الحديث وتحديدًا مع ما قدمه اللساني السويسري فرديناند دي سوسير، فبدأت مرحلة جديدة تعنى بدراسة اللغة دراسة وصفية، إذ عدت محاضراته " دروس في اللسانيات العامة " تأسيساً لمرحلة جديدة مغايرة لتصورات الدارسين السابقين، وإن كانت قد أفادت من بحوثهم، ولاسيما مما قدمه علماء النحو التقليدي العام من قبل، لدى الهنود و اليونان، الرومان والعرب، ودراسات الباحثين في القرون الوسطى، وعصر النهضة حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، يضاف إلى ذلك بحوث اللسانيات التاريخية والمقارنة التي برزت في القرن التاسع عشر، وبخاصة أعمال "فرانز بوب" والنحاة الشبان فيما بعد"<sup>(1)</sup>، فدي سويسر لم يبدأ من العدم وإنما أسس درسه على أساس متين من الدراسات اللغوية السابقة.

وضع "دو سوسير" ملامح نظريته في علم اللغة عندما ألقى محاضراته في جامعة جينيف؛ حيث ميّز مجال البحث ومنهجه في علم اللغة عن الجهود الأخرى التي عنيت باللغة على

(1) خليفة بوجادي، اللسانيات التداولية. ط:1. الجزائر: بيت الحكمة، 2009، ص13.

مدى القرون، وقد تميّزت دراسته بعدد من الثنائيات الأساسية، كان لها تأثير في كل مدارس علم اللغة الحديث وهذه الثنائيات:

**1- اللغة والكلام:** اللغة في هذا المعنى ظاهرة إنسانية عامة، عبّر عنها بمصطلح Langage، أمّا إذا خصت بجماعة لغوية معينة عبّر عنها بـ Langue، أما الكلام فهو عبارة منطوقة لها وجود مادي يختلف من فرد لآخر ومن موقف كلامي لآخر، عبّر عنه بلفظ Parole.

**2- العلاقات الجدولية Paradigmatique والعلاقات الأفقية Syntagmatique:** ويعني

بالعلاقات الأفقية تتابع الكلمات تتابعا خطيا، أما العلاقات الجدولية فيعني بها جملة الكلمات التي يمكن أن تتخذ الموقع نفسه وتنظم في عقل المتحدث ليختار منها المناسب<sup>(1)</sup>. حيث إن العلامة لا تحمل معنى مستقلا بذاته ما لم تكن داخل النظام لأنها تستمد معناها كاملا منه، ومن الوحدات المجاورة لها في السياق نفسه شأنها في ذلك شأن قطع الشطرنج<sup>(2)</sup> وفي هذا يقول "دو سوسير" اللسان نظام لا يخرج عن الترتيب الذي وضع عليه، وسنمثل لذلك بلعبة الشطرنج حتى نتبين هذا المعنى أحسن، فمن السهل إلى حد ما أن نميز هاهنا ما هو خارجي عما هو باطني: فانتقال هذه اللعبة من فارس إلى أوربا هو أمر خارجي بخلاف كل ما يخص النظام وقواعد اللعبة فهو أمر باطني، إن استبدلت القطع الخشبية بقطع من العاج، فإن هذا التغيير لا يمس النظام ولكن إن أنقصت أو زدت عدد القطع فهذا سيخل أيما إخلال بالنمو، الذي وضع عليه اللعب..."<sup>(3)</sup>

**3 - التزامنية Synchronique والتاريخية Diachronique:** يهدف علم اللغة

التزامني إلى تحديد المبادئ الأساسية للنظام المتزامن أي العناصر المكونة للنظام في وقت محدد. أمّا علم اللغة التاريخي فيبحث في العناصر المتتابعة زمنيا<sup>(4)</sup>.

(1) ينظر: محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي. ط: بلا. القاهرة: دار غريب. ص 31، 32

(2) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية. ص 20

(3) فرديناند ده سوسر، محاضرات في الألسنية العامة، ت: يوسف غازي و مجيد النصر. ط: بلا. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1986، ص 37.

(4) ينظر: محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، ص 33

ومن بين القضايا التي وضعها الدارسون من بعده، موضوع اللسانيات إذ يقول في هذا: " إن هدف الألسنية المنفرد و الحقيقي إنما هو اللغة منظورا إليها في ذاتها و من أجل ذاتها"<sup>(1)</sup> وذلك من أجل الكشف عن المميزات العامة المشتركة بظاهرة اللسان البشري من خلال دراسة الطبيعة المختلفة المتداولة بين بني البشر<sup>(2)</sup>، وهو بهذا صحح منهجية دراسة اللغة التي كانت تدرس لغايات أخرى كتفسير النصوص الذي يعد موضوع الفيلولوجيا فسوسير وضع تصورا جديدا للغة، فأصبحت من بعده ذات أهمية كبيرة عندما عدّها نظاما من الإشارات تعبر عن الأفكار، إذ وضع مادتها التي تختلف عن مادة العلوم الأخرى<sup>(3)</sup>، وحدد طبيعة دراستها ففصل بين الدراسة الآنية والزمانية؛ فبدأت مرحلة جديدة تعني بدراسة اللغة دراسة وصفية ظهرت بموجبها عدة مدارس "في القرن العشرين لمحاولة تفسير اللغة نظاما وتعلماً ولم ينتكس أي منها لمبدأ الوصف"<sup>(4)</sup>؛ إذ ترك دي سوسير تأثيرا متفاوت الوقع من نظرية إلى أخرى، إلا أن المرتكز الأساسي والمنهجي المتمثل في دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها بقي نفسه كما هو عند دي سوسير.

وكانت أفكار "دي سوسير" بمثابة مرجع أساسي لما ظهر من مدارس لسانية، اختلفت نظرتها لمقولة الوصف، فتشعبت تبعا لذلك إلى نزعتين كل واحدة تنظر إلى وصف اللغة بشكل مغاير عن الأخرى. فبينما يرى أحد الاتجاهين " أن الوصف الحقيقي لا يستدعي تصورا منطقيا وتأويلا ذهنيا أو فلسفيا، يرى آخرون أن التأويل والتصور جزء من وصف نظام اللغة"<sup>(5)</sup>

وهذا ما جعل أحد الباحثين يرى بأن هناك طائفتين قد انتفعتا من عمل دي سوسير، طائفة اتفقت على أن يصطبغ الوصف بالطابع التصنيفي ومن بينهم: دي سوسير،

(1) محاضرات في الألسنية العامة ، ص280

(2) خولة طالب إبراهيمي، مبادئ في اللسانيات. ط:2. الجزائر: دار القصب للنشر ، ص09.

(3) ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية. ص19.

(4) سمير شريف استيتبة، اللسانيات: المجال، الوظيفة، المنهج. ط. 1. القاهرة: عالم الكتب 2005، ص 159.

(5) سمير شريف استيتبة، اللسانيات: المجال، الوظيفة، المنهج ، ص 159

البراغيون، الكوبنهاغيون والأمريكيون. أما الطائفة الأخرى فمثلتها المدرسة التحويلية التي ترى بأن الدراسة لا تقف عند وصف اللغة وحده بل يتجاوزها إلى التفسير والتأويل.<sup>(1)</sup>

وسيأتي عرض لكلتا المدرستين: المدارس الوصفية التصنيفية، والمدارس الوصفية التفسيرية.

### أولاً: المدارس الوصفية التصنيفية:

فقد تأسست على هدي مبادئ "دي سوسير" اتجاهات وصفية ركزت في وصفها على تحليل بنية اللغة وتصنيفها، وبهذا كان التصنيف من أبرز سماتها، ولانتشارها تميز بها القرن العشرون، فعدت سمة سائدة في علم اللغة عند اللغويين الغربيين، إذ هناك عدة مدارس تشترك في تركيزها على بنية اللغة، ومنها اتخذت تسمية البنوية التي تجعل من اللغة موضوع بحث مستقل.<sup>(2)</sup>

وهذه المدارس قامت على مبادئ دي سوسير في دراسة اللغة وتحليل بنيتها معتمدة على المنهج الوصفي، وفي هذا يؤكد أغلب الدراسيين اللغويين أن النظريات البنوية قد نهجت "منهج اللغويات الوصفية من حيث تركيزها على البيانات اللغوية الملحوظة"<sup>(3)</sup>. إذ كانوا يحللون ويدرسون البيانات التي يمكن ملاحظتها، فلا يعمدون إلى التأويل بل يدرسون ما هو ظاهر فقط.

و قد انتشرت هذه المدارس في أماكن متفرقة من الكرة الأرضية يربطها خيط رفيع يعود إلى رائدهم دي سوسير ، حيث تلقت تعاليمه عن طريق التلمذة المباشرة ، أو عن طريق دراسة آثاره، و كان منها من أظهر وفاؤه للأستاذ الأول كمدرسة جنيف ، و مدرسة براغ ، و المدرسة الانجليزية ... الخ.

-1

مدرسة جنيف:

(2) ينظر: تمام حسان، الأصول: دراسة استيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب. ط: بلا. القاهرة: عالم الكتب، 2001، ص 239

(3) ينظر: محمود فهمي الحجازي، البحث اللغوي، ص 35

(4) شحدة فارح، جهاد حمدان وآخرون، مقدمة في اللغويات المعاصرة. ط1. الأردن: دار وائل للنشر. 2000، ص 39

تعد مدرسة جنيف من أول المدارس المؤسسة لفكر دي سوسير، فأظهرت وفاء كبيراً له، فجل ما قدمته من أعمال هو تنظير لأعمال دي سوسير الذي كان من أعلامها البارزين، إذ " استطاع بفكره البارع أن يوجه الدراسات اللسانية وجهة مكنت العلماء والباحثين بعده من اعتبار أفكاره اللسانية نقطة تحول عميقة في مسار اللسانيات الحديثة"<sup>(1)</sup>، وأبرز تحول شهدته الساحة اللغوية هو التحول من اللسانيات التاريخية إلى اللسانيات الوصفية، وعليه قامت هذه المدرسة، فعرفت باسم مدرسة جنيف أو مدرسة زيورخ<sup>(2)</sup>

وكان أعلام هذه المدرسة من تلامذة دي سوسير المباشرين، إذ جمعوا دروسه وأخرجوها إلى الإنسانية ومن بين أبرز أعلامها شارل بالي (c.bally) سيشهاي (Sechehay)<sup>(3)</sup>، فهؤلاء الباحثون حملوا راية دي سوسير في مناداتهم بمبادئ الاتجاه البنوي في اللغة<sup>(4)</sup> خاصة ما تعلق "بعلم اللغة عامة والعلاقة بالمنهج الوصفي والتحليلي بصفة خاصة"<sup>(5)</sup> كما تميزت هذه المدرسة "بنزعة قوية إلى الدراسات التي تعالج العنصر الانفعالي (التأثيري) في اللغة عن طريق الانصراف الدائب إلى اللسانيات الآنية وعن طريق الإيمان بأن اللغة تتجلى بوصفها كلاً منظماً ذا وظيفة اجتماعية"<sup>(6)</sup>؛ إذ ركزت على العنصر الذي يحقق التأثير الأسلوبي في اللغة وهذا ما برز في أسلوبيات شارل بالي، الذي اهتم بالمضامين الوجدانية للوقائع اللغوية.

وتعد مدرسة جنيف "مدرسة بنيوية تقليدية كما يمثلها دي سوسير، والتي تطورت فيما بعد إلى اتجاه له خصائصه المميزة"<sup>(7)</sup>. ومن أهم الخصائص والأصول القائمة عليها:

- 1) وجوب دراسة اللغة باعتبارها نظاماً وأنها ظاهرة اجتماعية.
- 2) العلاقة بين الصوت والمعنى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار لأنها مهمة في عملية الاتصال.

(1) عبد القادر عبد الجليل علم اللسانيات الحديثة. ط1 القاهرة دار الصفاء للنشر 2002، ص 225

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 224

(3) ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات (صوتي. دلالي. تركيبية). ط: بلا. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994، ص 51

(4) ينظر: ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني: تر سعد عبد العزيز مصلوح وفاء كامل كامل فايدة. ط2 المجلس الأعلى للثقافة. 2000، ص 223

(5) ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلطف وتداولية الخطاب. ط: بلا. الجزائر: دار الأمل، ص 57

(6) ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 223.

(1) ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 195.

(3) رؤيتها إلى أن تطور اللغة وحالتها الواقعية أمران مختلفان جذريا، ولذا لا يصح استخدام المعيار التاريخي في تفسير الحالة الحاضرة للغة<sup>(1)</sup>. وبهذا غدت هذه المدرسة من أهم المدارس الوصفية.

## 2 - مدرسة براغ:

لم تقف مبادئ دي سوسير عند حدود تلاميذه بجينيف، بل امتدت إلى مناطق أخرى تفرعت عنها مدارس قائمة على مرتكزات دي سوسير؛ إذ أن هناك من أفاد من محاضراته وهناك من انطلق منها وطور فيها، "ولعل من أبرز المدارس اللغوية التي انطلقت من الأصول والمبادئ التي وضعها دي سوسير وطورتها مدرسة براغ التي وضعت نظرية كاملة في التحليل اللغوي الفونولوجي"<sup>(2)</sup>.

وقد قامت هذه الحلقة اللغوية على يد طائفة من علماء اللغة بتشيكوسلوفاكيا، فضمت مجموعة من الباحثين، ينتمون إلى بلدان مختلفة، منهم التشيكي فيلام ماثيزيوس الذي أسس مع بعض معاونيه نادي براغ اللساني سنة 1926<sup>(3)</sup>، فبلغت هذه المدرسة ذروتها خاصة بعد "مشاركة العلماء الروس الثلاثة: رومان جاكوبسن، نيكولاي تروبتسكي، وكان سفيسكي، فقد كان لهم أثر بالغ في نشاط هذه الحلقة"<sup>(4)</sup>.

والتقط علماء حلقة براغ مشعل الدراسات اللغوية الحديثة، من رائدها دي سوسير، ونسجت المدرسة الشكلية خيوطه، فطبقت مبادئ النظرية البنوية الوصفية، فأعطوا الدراسة الوصفية أهمية كبرى ورأوا بأنها "يجب أن تكون الهدف الأول لعلماء اللغة لأنها تتصل بالحقائق اللغوية اتصالا مباشرا"<sup>(5)</sup>، فنظروا إلى اللغة نظرة وظيفية وصفية مطبقين مبادئ مبادئ "دي سوسير"، لم يبتعدوا عن نظرتهم التي تخص الدراسة التاريخية التي ينبغي أن تكون في ضوء الوصفية دائما لأن هذا يؤدي إلى دراسة وصفية أخرى<sup>(6)</sup>، إذ لا تصح

(2) ينظر: نادية رمضان النجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين. ط: 1. الإسكندرية: دار الوفاء لعلماء، 2006، ص 62.

(3) حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية: ط: بلا. الأزايطة: دار المعرفة الجامعية، 2002، ص 20.

(4) ينظر: أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور. ط: بلا. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2002، ص 136.

(5) نور الهدى لوثن، مباحث في اللغة و مناهج البحث. ط: بلا. الإسكندرية: المكتبة الجامعية، 2001، ص 347.

(1) حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 24.

(2) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها

الدراسة التاريخية للظاهرة اللغوية إلا بدراستها دراسة وصفية؛ لأن المنهج الوصفي هو الوسيلة الوحيدة التي تؤدي إلى نتائج دقيقة وصحيحة.

وبهذا فرقت المدرسة بين الدراسة الوصفية والدراسة التاريخية، فوضحت بأن الدراسة التاريخية تابعة للوصفية، انطلاقاً من أن معرفة النظام اللغوي يجب أن يسبق معرفة التغيرات التي طرأت عليه<sup>(1)</sup> وترى هذه المدرسة "أن خير ما يمكن أن نحيط بجوهر اللغة وخصائصها هو التحليل الآتي للظواهر اللغوية الحالية، فهي وحدها تمثل مادة كاملة، وفيها وجد دفء الواقع اللغوي"<sup>(2)</sup> فقد حظي الوصف بأهمية كبرى في مبادئها خاصة إذا ارتبط بالمنهج الوظيفي الذي اهتمت به المدرسة، وبهذا نجد أن هذه المدرسة "تلتقي في بعض توجهاتها مع المدرسة السياقية الوصفية، حتى شكلت معها بعداً منهجياً أكثر اتساعاً، هو البعد الوظيفي لدراسة اللغة غير أن هذا البعد يظل في إطار المنهج الوصفي بوجه عام" <sup>(3)</sup> ، و لاشتراك المدارس البنوية في المنهج نفسه نجدها تتشابه في كثير من المبادئ مثلما هو الحال مع المدرسة الوظيفية والمدرسة السياقية؛ حيث اهتمت هذه الأخيرة بالسياق، كذلك المدرسة الوظيفية اهتمت بالموقف الكلامي، أو العناصر المكونة للرسالة بما فيها السياق.

ولقد برع أقطاب هذه المدرسة في دراسة الفونولوجيا خاصة من الناحية الوظيفية، وهذا ما جعلهم يتميزون عن باقي المناهج اللسانية، حيث شمل نشاطهم مجال الصوتيات الوظيفية الأنوية، والصوتيات الوظيفية التاريخية؛ فيدرسون اللغة وظيفياً، فإذا كان دي سوسير قد نظر إلى اللغة بأنها نظام من العلامات فإن مدرسة براغ ترى أن اللغة نظام من الوظائف<sup>(4)</sup>.

ومن بين إسهاماتهم في مجال الصوتيات، تقديم دراسة تحليلية للأصوات الكلامية إلى سمات نطقية، فرغم أن هذه الدراسة لم تكن أمراً جديداً "إلا أن تحليل الوحدات

(3) ينظر: حليلة أحمد عميرة، الإتجاهات اللغوية لدى القدماء. ط: 1. الأردن: دار الأوائل. 2006، ص39

(4) نور الهدى لوشن، مباحث في اللغة ومناهج البحث، ص 348.

(5) حليلة أحمد عميرة ، الإتجاهات اللغوية لدى القدماء ، ص 39

(1) ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص136

الفونومية إلى سلسلة من التضادات الخاصة، يعد تقدما حقيقيا في النظريات الفونولوجية والمنهج الوصفي بوجه عام (...). وبفضل أعمال مدرسة براغ في هذا الميدان، أصبح الفونيم أحد المقومات الأساسية للنظرية اللسانية عامة وللوصف العلمي والتحليل المنهجي لمختلف الظواهر اللغوية الخاصة<sup>(1)</sup>

واستطاعت هذه الحلقة التمييز بين الدراسة الفونولوجية الوصفية والدراسة التاريخية، وبهذا كانت الفونولوجيا التريبتسكوية شبيهة بالفونولوجية الوصفية الأمريكية، وفي هذا الميدان نجد "جاكوبسون" رائدا مطورا له، بتوضيحه لمبادئ الفونولوجيا التاريخية<sup>(2)</sup>.

فمدرسة براغ لها توجه خاص في دراسة اللغة من الوجهة الوصفية وهذا ما وضحه "سامسون" في قوله: "لم يكتب أصحاب هذه النظرية بالوصف، بل تعدوه إلى التفسير، مجيبين عن سؤالين رئيسيين: ماذا تشبه اللغات؟ ولماذا جاءت على هذه الشاكلة؟"<sup>(3)</sup>، فمن هنا يتضح أن مدرسة براغ ذات توجه تفسيري في تحليل اللغة، إلا أن غلبة التصنيف جعل منها مدرسة تصنيفية لا تفسيرية.

ولا تستثني من هذه الدراسة علما من أعلام هذه الحلقة، كان له رأي في الدراسة الوصفية للظاهرة اللغوية، وهو "أندري مارتيني"؛ الذي يرى بأن "اللغة هي موضوع اللسانيات لا توجد إلا على شكل ألسن متنوعة وأن اهتمام اللساني هو دراسة هذه الألسن، وقد تبين لنا أن هذه الألسن هي قبل كل شيء أدوات التبليغ، وعلى هذا فإنه من اللائق أولا وأساسا النظر فيها ووصفها في سعيها"<sup>(4)</sup>، وبهذا لا يخالف "دي سوسير" في موضوع اللسانيات، من خلال حديثه يوضح وظيفة اللغة التي ينبغي أن توصف وهي لحظة أداء وظيفتها، ثم يتابع حديثه ويقول: وطالما أن الأمور على ما هي عليه سنتساءل عن إمكانية فصل دراسة السعي (الوصف) عن دراسة التطور والحق أنه من اللائق أن يكون الوصف أنيا صرفا، بمعنى مؤسسا فقط على ملاحظات أجريت في مدة من الزمن قصيرة حتى يمكن

(2) المرجع نفسه، ص138

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص 143-148

(1) سامسون، مدارس اللسانيات: السابق والتطور. ص 104 نقلا عن: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 137

(2) أندري مارتيني، مبادئ في اللسانيات العامة. تر: سعد زبير. ط: بلا. الجزائر: دار الأفق، 1999، ص 31

اعتبارها عمليا نقطة على محور الزمن<sup>(1)</sup>، ليكون بذلك مؤكداً على ضرورة الفصل بين الدراسة الآنية والزمانية، كما يؤكد على ضرورة الالتزام بالمنحى التصنيفي، وذلك بالتركيز على الملاحظة فقط.

وخلاصة القول إن مدرسة براغ هي إحدى المدارس التي هيمنت على الدراسات اللغوية ردحا من الزمن، وما زال تأثيرها ساريا إلى اليوم خاصة مع ما قدمته في مجال الفونولوجيا.

ورغم أنها تسيّر سَيْرَ دي سوسير في الدراسة الوصفية، إلا أنها تجاوزته إلى التحليل الوظيفي والتفسير الواقعي، وأثبتت أن الدراسة الفونولوجية صالحة للمناهج الآنية والزمانية على حد سواء<sup>(2)</sup>.

ومهما خالفت هذه المدرسة أستاذها، إلا أنها تبقى مشدودة إليه بخيط رفيع، تحت عنوان البنيوية الذي يؤكد على أصولها الوصفية.

### 3- مدرسة كوبنهاجن:

تعد مدرسة كوبنهاجن من أشهر المدارس التي أخذت أفكار دي سوسير، فنمتها وفق متطلباتها؛ إذ تعد من أشهر المدارس اللسانية التي ظهرت في أوروبا عقب القرن العشرين. ويطلق مصطلح مدرسة كوبنهاجن في المرحلة الأولى على اللسانيات البنيوية التي قامت على أساس من أفكار العالمين الدنماركيين هيلمسليف (Hyelmeslev) وبروندال (Brondal)<sup>(3)</sup>. فبدأت هذه المدرسة على يد هذين العالمين سنة 1931، رغبة في خلق نظرية تتميز عن النظرية البراغية في دراسة اللغة<sup>(4)</sup>.

وقد قام هيلمسليف وهو صاحب النظرية البنيوية التحليلية الشهيرة (الرياضيات اللغوية) التي تقابل Glossématiques المشتقة من Glossa وتعني اللغة، بجهد جبار في

(3) المرجع نفسه، ص32

(4) ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص155

(1) ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 317

(2) ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص53

تأسيس هذه المدرسة. إذ تهتم نظريته بدراسة الوحدات الصغرى التي لا تقبل التجزئة، وفي هذا كان متأثراً بوالده أستاذ الرياضيات<sup>(1)</sup>.

تحاول هذه النظرية بناء منطق رياضي للغة في مزجها بين علم اللغة والمنطق الرياضي إلا أن بنويته تتخذ شكلاً ثابتاً لا متغيراً... وقول دي سويسير باجتماعية اللغة يجعل "هيلمسليف" ينادي باستقلاليتها عن الإنسان مما يقربها من العلوم الطبيعية والدقيقة، وبالتالي تشهد اللسانيات فقدان إنسانيتها وحياتها، وتصبح مجرد ذهنية شكلية<sup>(2)</sup> ولعل هذا ما جعل الكثير من الدارسين ينبذونها وينفرون منها.

تهدف الغلوسماتيك<sup>(\*)</sup> إلى إقامة لسانيات علمية مبنية على أسس كلية "تعنى بوصف الظواهر اللغوية، وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعية، لتتميز هذه النظرية عن باقي النظريات اللسانية الأخرى بدرجة لا مثيل لها من التجريد النظري وبخاصة في مجال التعريف والتنظيم والتصنيف"<sup>(3)</sup> فأرست بذلك الأسس السويسرية بطريقة جديدة، لتبدو مختلفة عن أصولها لتعقيدها، إلا أنها تصب في قالب واحد وهو الوصف.

ولقد كانت هذه المدرسة على درجة عالية من الوصف وفي هذا يقول "هيلمسليف" "أنها تهدف إلى إرساء منهج إجرائي، يمكن من فهم كل النصوص من خلال الوصف المنتظم والشامل، إنها ليست نظرية بالمعنى العادي لنظام من الفرضيات، بل نظام من المقدمات المنطقية الشكلية والتعريفات والنظريات المحكمة التي تمكن من إحصاء كل إمكانات التأليف بين عناصر النص الثابتة"<sup>(4)</sup>؛ إذ تسعى لإيجاد أسس نظرية تمكنها من تفسير النصوص، هذه الأسس قائمة على مبادئ منطقية شكلية، وبهذا اعتبر اللغة شكلاً وليس مادة.

ويرى "هيلمسليف" أن نظريته هي امتداد طبيعي لنظرية "دي سويسير"، فهو قد جاء ليتم ما بدأه هذا العلامة؛ حيث نادى بما كان ينادي به دي سويسير، كإقراره بأن اللغة

(3) ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 160

(4) ينظر: ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ص 58

(1) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 159

(\*) شرح ماريو باي هذا المصطلح في معجمه *glissary of linguistic terminology* بأنه تحليل شبه رياضي للغة مؤسس على التوزيع والعلاقات المتبادلة بين الجلوسيمات وقد شرح هذا المصطلح بأنه أصغر وحدة ذات معنى. تواتي بن تواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث، ط: بلا. الجزائر: دار الوعي، ص 05.

(2) *Phonology and phonetics. Intomas*, p283 نقلا عن: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 159.

شكل وليست مادة، إلا أن هذه المدرسة قد تختلف في المصطلحات فمثلاً: مبدأ دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها سمي في اصطلاح **هيلمسليف**: اللسانيات المحاثة، ومبدأ الدال والمدلول استبدل بثنائية التعبير والمحتوى.<sup>(1)</sup>

يذكر الباحثون بأن عمل **هيلمسليف** يعد أول "محاولة لتأسيس نظرية لسانية علمية وصفية، وفق مقدمات منطقية بديهية"<sup>(2)</sup>، ولتحقيق علمية الدراسة وضعت شروطاً لها ملخصة في مبدأين معرفين تفسيريين وهما:

#### أ - مبدأ التجربة:

يختلف معنى هذا المبدأ عن المعاني المعهودة، إذ يرى **هيلمسليف** أنه أساس النظرية العلمية، لاعتماده على الملاحظة والاختبار، ولجمعه بين ثلاثة معايير: اللاتناقض والشمولية، والتبسيط، بهذا الترتيب. فإذا كانت أي نظرية لغوية أمام عدة مناهج إجرائية، توفر كلها الوصف الشامل لأي نوع من النصوص، فلا بد من اختيار المنهج الذي يؤدي إلى أبسط هدف ممكن، أما إذا أدت المناهج إلى أوصاف بسيطة على حد سواء فلا بد من اختيار المنهج الذي يؤدي إلى نتيجة من خلال أبسط الإجراءات<sup>(3)</sup>.

#### ب مبدأ الأحكام والملاءمة:

فالمصطلح الأول "الإحكام ورد عند دي سوسير تحت تسمية الاعتباطية، ومعناه أن ترد النتائج الطبيعية تابعة لمقدماتها المنطقية، إلا أن هذا المعيار عديم الجدوى من الناحية العلمية؛ لأنه غير قابل للتطبيق من الناحية التجريبية، وكذلك الشأن بالنسبة للنظرية اللسانية إذ لم تكن منطقية لا يمكن تطبيقها على المدونة اللغوية، ومن جهة أخرى لكي تكون النظرية ناجحة لا بد أن تكون ملائمة، عندما تكون قابلة للتطبيق على عدد كبير من المعطيات التجريبية<sup>(4)</sup>.

فقد كانت هذه النظرية ترمي إلى دراسة اللغة دراسة علمية على منوال العلوم الدقيقة بحيث يصبح موضوع اللسانيات علماً بحتاً، متأثرة في ذلك بالفلسفة الوضعية المنطقية عند **أوغست كونت**، التي لا تدرس إلا الظواهر اليقينية.

(3) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 161، 162.

(4) المرجع نفسه، ص 163.

(1) ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 163.

(2) ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 163، 164.

فأنصار الغلوسماتيك في مسيرتهم اللسانية "يبحثون عن العلامات اللغوية، التي تبدو الآن كما قد كانت في الماضي وكما ستكون في المستقبل، إن اللسانيات عندهم ليست آنية ولا زمانية، فعامل الزمن هنا لا أهمية له"<sup>(1)</sup>، فلم تقلقهم المعضلة التي شغلت اللسانيين الخاصة بالفصل بين المنهجين الآني والزمني، بل ركزوا على البنية اللغوية التي تعتبر أساس الدراسة . فكانت هذه المدرسة متميزة عن باقي المدارس، فريدة في مبادئها ومصطلحاتها، لأنها استطاعت أن تبلور أفكار دي سوسير في حلة جديدة، فجمعت بين مبادئ النحو التقليدي ومظاهر اللسانيات الحديثة، مما جعلها "نظرية بارعة في عمومها وشمولها ومداهها"<sup>(2)</sup>

تعرضت هذه النظرية إلى هجوم قوي من قبل الدارسين لتحويلها اللغة إلى رموز علمية جافة ، وفي هذا يرى فيرث " أن نظرية هيلمسليف نظرية مجردة، أنها نظرية منطقية رياضية، وصاحبها قد غالى في المبادئ التي نادى بها دي سوسير، تخريجا وتأويلا واستنباطا وتطبيقا، مغالاة لا توحى بها كتابات دي سوسير"<sup>(3)</sup>؛ ولاعتمادها على المنطق الرياضي ابتعدت عن مبادئ دي سويسر، التي يدعي أنه يحبسها، وكأن نظريته ثورة على الدراسات اللغوية المتأثرة بالفلسفة واللسانيات المقارنة لتحل محلها دراسة قائمة على أسس رياضية ومنطقية.

فرغم نفور الدارسين منها إلا أنها مازالت تحظى بمكانه عالية وبتقدير الباحثين؛ فكانت آراؤها تنادي بقوة انتمائها إلى الأستاذ الأول فكان لرائدها "دون غيره فضل المنادة بـ "دي سوسير" مؤسساً للبنوية اللسانية، ومن أجل ذلك أطلق كثير من الباحثين على نظريات هيلمسليف اسم السوسيرية المحدثه"<sup>(4)</sup>، فنصّبوه بذلك الوريث الشرعي لدي سوسير، فأعطى لنفسه الحق في تغيير الكثير من المصطلحات اللسانية، واستبدالها برموز رياضية لا تكاد تفهم من قبل الباحثين ، رغم ذلك فقد شددت هذه النظرية الأنظار سواء من

(3) ميكا افيتش، إتجاهات البحث اللساني، ص331

(4) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. ط: بلا. بيروت: دار النهضة العربية، ص 324.

(1) Application of general linguistics, p 2. نقلا عن: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ، ص 345

(2) ميكا افيتش، إتجاهات البحث اللساني، ص324.

قبل معجبين أو ناقدين إلا أنها "لم تطبق حتى الآن تطبيقاً كاملاً على لغة من اللغات" (1) ، وهذا نظراً لصعوبتها في اعتمادها على مسلمات رياضية بحتة.

#### 4 - المدرسة الإنجليزية:

لقد كان لبريطانيا تراث ضخم في مجال الدراسات اللغوية، يعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي؛ إذ "صب الباحثون كل اهتمامهم آنذاك على ميكانيزمات الوصف اللغوي الدقيق قصد انتقاء لغة رسمية فصيحة بين اللهجات المستعملة في مختلف أرجاء الجزيرة" (2)

وبعد هذا القرن نشطت الدراسات في لندن نشاطاً كبيراً، وذلك بعد وضوح اللغة الرسمية، وقد اتبعت في دراستها "نهج الدراسات التاريخية المقارنة في القرن التاسع عشر، محاولة منها مسيطرة البحث اللغوي في ألمانيا" (3)، واللافت للانتباه أن إتباعها هذا النهج، لا يعني خلو درسها اللساني من المقولات الوصفية؛ إذ نجد الكثير من الملاحظات الوصفية خاصة في وصف الأصوات ففي "القرن التاسع عشر الميلادي، انكب جمع من علماء بريطانيا على دراسة الأصوات اللغوية دراسة وصفية موضوعية" (4)، حيث اشتهرت في بريطانيا عائلة "بال" في مجال الصوتيات التي طورت الدراسة الصوتية وخدمت البشرية باختراعاتها خاصة اختراع الهاتف.

كما نجد رواداً آخرين قد أسهموا بجهودهم في تطوير الصوتيات من أمثال: **دانيال جونز** و**غاردينر**، ورغم جهودهم إلا أنهم لم يستطيعوا تغيير المنهج المتبع والتيار اللساني العام، إلى أن يأتي اللساني الذي أحدث ثورة في التنظير اللساني البريطاني و الحديث هنا عن عالم اللسانيات الإنجليزي **جون فيرث John Firth** (5)؛ الذي كان من أبرز علماء المنهج الوصفي السياقي، فكانت نظريته أول مشاركة لغوية في بريطانيا، في وقت كانت الدراسات اللغوية لا تعدو وضع المعاجم والدراسات الصوتية واللهجية، أما فيرث فقد كان

(3) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 345.

(4) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 170.

(1) نادية رمضان نجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، ص 75.

(2) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 170.

(2) ينظر: المرجع نفسه، ص 172.

مهتما باللغات الشرقية نظرا لاستقراره فترة من الزمن في الهند، فتأثر بهم وبلغتهم السانسكريتيه فوصفها وصفا صوتيا<sup>(1)</sup>.

ومن الملاحظ أن فيرث لم يتأثر بالهنود فقط في استوحاء نظريته اللغوية ، بل نجده أيضا قد "تأثر بالتفسير الأنثروبولوجي على يد العالم البولندي مالينوفسكي، الذي طبق نظريته في اللغة وعرفت بسياق الحال Context of situation"<sup>(2)</sup>؛ إذ أن مالينوفسكي وجد صعوبة في ترجمة بعض نصوص الآداب البدائية، إلا بعد ربطها بسياقها الذي قيلت فيه، وبهذا تأثر فيرث وأقر بأن المعنى لا يتحدد إلا من خلال ربط الكلام بسياقه ، وهذا ما جعله مؤهلا "لوضع نظرية لغوية قامت عليها مدرسة لغوية مستقلة في تاريخ الفكر اللغوي في بريطانيا"<sup>(3)</sup>، فكانت له ثمار قد أئبعت، وبرزت في أفكار من تتلمذ على يده، إذ ركز "فيرث" من خلال نظريته على "وصف اللغة بوصفها نشاطا معنويا في سياق اجتماعي معين"<sup>(4)</sup>

فحاول "فيرث" من خلال تجربته الوصفية وضع مجموعة من الشروط للواصف النحوي عليه الالتزام بها في دراسته لمظاهر اللغة المختلفة أهمها:

1) ينبغي أن يحدد الباحث معاني الأشكال النحوية على المستوى النحوي والمعجمي بالنسبة إلى نظام اللغة موضوع البحث.

2) ومن المبادئ العامة المقررة في الوصف النحوي أن يتجنب الباحث إدخال مقدمات وتصنيفات سابقة، وعدم الاعتراف بالأقسام اللغوية التي تعبر عنها موضوع البحث بطريقة شكلية.

3) على الواصف اللغوي تحديد قائمة بعناصر اللغة يوزعها، ويحدد وظائفها ومعناها على المستوى النحوي في مصطلحات خاصة بالنظام النحوي الذي تنتجه اللغة وعلاقتها بظروف الاستعمال.

4) على الباحث أن يدخل دائما في اعتباره البنية الشكلية والظروف الاجتماعية.

(3) ينظر: حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 30. 31.

(4) نادية رمضان نجار، فصول في الدرس اللساني العربي الحديث، ص 75.

(1) حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 31.

(2) نادية رمضان نجار، فصول في الدرس اللساني العربي الحديث، ص 75.

5) على الباحث تحديد مدى استعمال الأقسام اللغوية في اللغة وتبيين الوسائل التي تتضح بها.

6) على الباحث أن يقيم هذه الأقسام على أسس شكلية لا تصورية فلسفية.

7) على الباحث إدخال عناصر سياق الحال كالظروف الاجتماعية التي تستعمل فيها هذه الأقسام، وملاحظة الفروق بين الكلام العادي وبين القواعد التي تسيّر عليها اللغة المتخصصة<sup>(1)</sup>.

ولقد اتبع فيرث "firth" هذه الوصايا لضمان نجاح منهجه الذي جعل من "المعنى سريع الانقياد والملاحظة والتحليل الموضوعي، كما أنه عالج الكلمات بوصفها أحداث وأفعالا وعادات تقبل الموضوعية والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة بنا"<sup>(2)</sup>.

وحتى لا نجحف في حق تلاميذه، لا بد من الإشارة إلى "ألكسندر هاليداي" الذي استدرك ما أخذه عن أستاذه، متأثرا بعلماء كثر أمثال: "مالينوفسكي"، وأقطار مدرسة براغ، فاستوعب أفكارهم وصاغ نظريته في وصف اللغة التي يمكن أن تطبق على أكثر من لغة؛ حيث دعا إلى وصف الفصائل اللغوية التي نحتاج إليها في دراسة النحو الباطني في أي لغة من اللغات<sup>(3)</sup>.

### 5 - المدرسة الوصفية الأمريكية:

نشطت الدراسات الأمريكية نشاطا كبيرا في ميدان الدراسات اللغوية، وكانت وجهتها مغايرة لوجهة اللسانيات الأوروبية، فكانت نتائجها تبعا لذلك مغايرة رغم تقاطعها معها في بعض المقولات خاصة في ميدان الوصف.

وقد اعتمدت الدراسة الأمريكية على اللغة المنطوقة؛ إذ " انطلقت من الأنثروبولوجيا والدراسات الحقلية التي إهتمت بتدوين وتصنيف اللغات الهندية الأمريكية المتناثرة في الولايات المتحدة خشية انقراض هذه اللغات"<sup>(3)</sup>. وفي ظل هذه الدراسات نشأت الدراسة الوصفية، التي تنبني "على اللغة المنطوقة وتعتمد على الأشكال اللغوية، بعيدة كل البعد عن

(3) ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص 238-240.

(1) أحمد عمر مختار، علم الدلالة. ط: 5. القاهرة: عالم الكتب، 1992، ص 73.

(2) أحمد مومن، اللسانيات النشأة وتطور، ص187.

إقحام المنطق والمعنى في تفسير الظواهر اللغوية، وترتكز على وصف خصوصيات كل لغة على انفراد"<sup>(4)</sup>

وقد شهدت أمريكا هذا النشاط اللغوي " في النصف الأول من القرن العشرين على يد مجموعة من العلماء الوصفين (.....) الذين حملوا راية الدرس اللغوي الأمريكي أمثال فرانز بوغر franz boos الدوارد سابير Edouard Sapair وليوناردو بلومفيلد leonardo bloomfield"<sup>(1)</sup>، فقد أرسى هؤلاء دعائم اللسانيات الأمريكية، و توجيهها نحو منهج متميز، و لكل واحد من هذه الثلاثة مقاربتة الخاصة للغة .

فقد مثل "فرانز بوغر" البداية الحقيقية للسانيات في القارة النظيرة لأوروبا، فرغم أنه بدأ مسيرته اللغوية في ظل المبادئ النحوية التقليدية، إلا أن هذا لم يعقه في عمله اللغوي، فاستطاع أن ينجز من خلال عمله دراسات وصفية ناجحة لأنماط من اللغات، فاستطاع أن ينجز من خلال عمله دراسات وصفية ناجحة لأنماط من اللغات كانت غير معروفة، إذ يرى بأن المادة اللغوية هي التي تفرض طريقة ملائمة لتحليلها.<sup>(2)</sup>

قدم "فرانز بوغر" دراسات معتبرة في مجال الوصف و يعد أول من " وضع أسس اللسانيات الوصفية في الولايات المتحدة، وقد ظلت هذه الأسس التي تضمنها كتابة دليل اللغات الهندية الأمريكية... مهيمنة على النظرية اللسانية"<sup>(3)</sup> فأعطى الدراسة الوصفية أهمية كبرى في مصنفه هذا الذي كان أعظم إنجاز قدمه الباحث الأمريكي "فأسهم إسهما أساسيا في المشكلة النظرية المتصلة بتأسيس منهج وصفي"<sup>(4)</sup> وبهذا كان كتابه مرجعا أساسيا للدارسين الوصفيين، لوضعه الأسطر العامة للدراسة الوصفية ونال هذا اللساني شهرة واسعة، فتجمع حوله ثلة من التلاميذ الذي تناولوا دروسه بشغف إذ كانت دروسه أرضا خصبة لنمو عقول لسانية رائدة أمثال "سابير" الذي كان " ذا ثقافة واسعة واهتمامات علمية واسعة على نحو تجاوز كل حد، وقد بدأ مستقلا عن دي سوسير في نشر أفكاره

(1) نادية رمضان نجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء و المحدثين، ص79.

(2) ينظر : ميلكا فيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص273، 274.

(3) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور ص 188

(4) ميلكا فيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 274، 275

بالخارج عن اللغة بوصفها نظاما منسوقا، وألقى بنفسه متحمسا في غمار اللسانيات الوصفية التي كانت غايتها الأولى فحص أنماط البنية اللغوية" (1)

أسهم "سابير" في إرساء أصول اللسانيات الوصفية، حيث ألحّ كغيره من الوصفيين على التنوع الموجود بين اللغات وجعله مسلمة أساسية واستراتيجية ضرورية لوضع حد للافتراضات المسبقة، فهو يرى أنه لا يمكن لأي باحث أن يدرس لغة غريبة إلا إذا اعتقد أن بنيتها تشبه بنية لغة أخرى يعرفها. (2)

وإلى جانب سابير بزغ نجم لساني آخر في هذه القارة لا يمكن تفاديه، فالأمر متعلق ببلوفيلد الذي مثل المدرسة الوصفية ووضع اللسانيات الأمريكية بصفة خاصة (3)، وهو من أبرز أعلام المدرسة الوصفية التوزيعية، إذ نظر للغة من وجهة آلية سلوكية. ولبلومفيلد مصنفا تحت عنوان "اللغة" تناول فيه الدرس الوصفي، وتعرض لدى سوسير في مقدمة كتابه التاريخية، (4) وقد تشبع هذا العالم بمبادئ السلوكية وأعلن عن هذا صراحة

وللأهمية العلمية للكتاب قد سمي إنجيل اللسانيات الحديثة، وقد وصف منهجه بالوصفية التجريبية إلا أنه يقصر عمله على مراقبة الظاهر الخارجية القابلة للقياس، ولذا استبعد كل ما لا يخضع في اللغة للمنهج التجريبي" (5)، وهذا ما جعله يبتعد في دراسته عن المعنى لأن المعنى غير قابل للملاحظة، ولأن بلومفيلد لما كان يسجل اللغة كان يسجل الأصوات فقط بدون معنى، وهذا ما جعل المعنى يغيب أثناء التجربة التي قام بها، لذلك عده شيء خارج عن طبيعة اللغة.

"بلومفيلد" اعتنى باللسانيات الوصفية والبنوية وذهب إلى أن " الدراسة اللغوية التقليدية التي ظهرت قبل اللسانيات التاريخية، تعد دراسة غير علمية لأنها استدلالية

(5) المرجع نفسه، ص 275

(1) ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 192

(2) ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) ينظر: حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص 24

(4) نادية رمضان نجار، فصول في الدرس اللغوي بين القدماء والمحدثين، ص 82

ومعيارية، وأكد على أن دراسة اللغة يجب أن تكون وصفية استقرائية<sup>(1)</sup> وبهذا قد ثار على المبادئ التي شب عليها، وهذا يعود إلى تتبعه لتطور مشكلات اللسانيات الأوروبية.

أما فيما يخص مرتكزات مدرسة بلومفيلد الوصفية، فهي عديدة متخذة من الكلام المنطوق بوصفه أساسيا للدرس اللغوي وهو الأساس الأول عنده، أما ثاني أساس فهو أن النحو علم تصنيفي غايته الأولى استقراء الصيغ الأساسية في اللغة حسب درجة التواتر.<sup>(2)</sup>

فالتزمت هذه المدرسة بالموضوعية المتمثلة في الوصف الاختياري أي الاستقرائي، ملتزمين بتحديد الأشكال النحوية وتصنيفها في مستويات لغوية دقيقة.<sup>(3)</sup>

ولقد عمل بلومفيلد بروح سلوكية فكان له " عظيم الاهتمام بتوضيح مسالك البحث العلمي التي تقود إلى الغاية وهي الكشف عن قوانين النفس الإنسانية، غير أنه اعتقد أن التوصل إلى هذا الهدف ينبغي أن يتحقق بصورة تدريجية عن طريق الدراسات الوصفية الموضوعية للظواهر الحادثة بالفعل"<sup>(4)</sup>

وخلاصة ما تقدم يمكننا أن نلاحظ أن معظم اللسانيين الأمريكيين دعاة للمنهج البنوي حيث نجدهم قد " انكبوا على دراسة اللغة وخاصة المنطوقة في الإطار الذي رسمه بلومفيلد في الثلاثينات دراسة وصفية، ومن هنا عرفوا بالوصفيين "<sup>(5)</sup> وأنهم اتبعوا طريقة بلومفيلد القائمة على دراسة اللغة وفق المنهج التوزيحي " الذي يقوم على توزيع المكونات الأساسية للجملة بطريقة الاستبدال."<sup>(5)</sup>

## ثانيا: المدرسة الوصفية التفسيرية:

- 
- (5) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 193  
(1) ينظر: عطا محمد موسى، مناهج الدرس النحوي في العالم العربي في ق 20 ط. 1: عمان: دار الإسرائ، 2002، ص 244  
(2) ينظر المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .  
(3) ميكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني، ص 279  
(4) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 197  
(5) حليلة أحمد عمارة، الاتجاهات النحوية لدى القدماء، ص 41

كان البحث اللغوي قبل ظهور هذه المدرسة يركز على تصنيف المفردات ووصفها، فكان هذا التركيز سبب في نفور الدارسين منها، إذ شهدت انحصارا في عجزها في تحليل وتفسير الظاهرة اللغوية، وهذا ما جعل الدارسين يصرفون عنها النظر لحاجتهم إلى مدارس ومناهج أخرى قادرة على وصف وتفسير الظواهر اللغوية.

وأمام حاجة الساحة اللغوية المسيسة إلى هذا النوع من الدراسات، ظهرت المدرسة التحويلية التوليدية استجابة لمتطلبات الوضع وبدأت حملتها المعادية سنة 1957. "بتحويل اتجاه علم اللغة من المنهج الوصفي إلى منهج جديد (التحويل)، وكان صاحب هذا الاتجاه اللغوي نعوم تشومسكي"<sup>(1)</sup> فكان هذا اللغوي بمثابة ثائر على الاتجاهات اللسانية السائدة؛ إذ كانت نظريته من " أشهر إنجازاته التي أحدثت ثورة في التفكير في علم اللسانيات بحيث أصبحت في النظرية السائدة في النصف الثاني من القرن العشرين".<sup>(2)</sup>

ارتكز تشومسكي على جملة من النقائض التي سجلها على من سبقه ومنها بنى فكره اللغوي، فكان ما قدمه عبارة عن جملة من الانتقادات للمدارس البنوية التصنيفية.

فقد ثار على بلومفيلد وأتباعه وهاجم السلوكية ، فهو يرى أن هذه المدارس التي تهتم "بالوصف والتصنيف لا تقدم لنا شرحا ولا تفسيرا لما ينتجه المتكلم من الكلام ولا لمظهر اللغة الخلاق الذي يتضح في قدرة متكلم اللغة على توليد وفهم العديد من الجمل التي لم يسمعها من قبل"<sup>(3)</sup> فلم يرض تشومسكي على عمل النحاة الذين سبقوه في اهتمامهم بالظواهر فقط ،الجاعلين من الدرس اللغوي مجموعة من الخطوات التحليلية لوصف التراكيب؛ حيث لم تهتم بالبنية العقلية العميقة التي لا يمكن تفسيرها بالفعل، بل دراسة القابلية اللغوية لدى الإنسان، وذلك لا يكون إلا إذا أصبح الدرس اللغوي يشمل إلى جانب الظواهر اللغوية السطحية التراكيب العميقة الشبيهة بتحليل عقلي لجملة ما، ومن خلال هذا

(1) صالح بلعيد، في المناهج اللغوية و إعداد البحوث .ط:بلا .الجزائر :دار هومة ،2005،61.

(2) سامي عياد حنا ، وكريم زكي حسام الدين و آخرون ،معجم اللسانيات الحديثة .ط:1.لبنان :مكتبة لبنان ناشرون، 1997،ص17.

(3) كريم زكي حسام الدين ،أصول تراثية في اللسانيات الحديثة.ط:بلا.مصر :دار النهضة ،2001،ص54.

المنظور يصبح نحو لغة ما هو نظرية هدفها تفسير قدرة استعمال تركيب لغوي معين على نحو معين.<sup>(4)</sup>

وقد اقترح "تشومسكي" موضوعاً جديداً في الدراسة اللغوية المتعلق بالمقدرة اللغوية، وكان لاقتراحه هذا أن استدعى منهجاً آخر يتوافق مع طبيعة هذا الموضوع، يتسم بالدقة، فاعتمد على التفسير والنظر التجريدي<sup>(1)</sup> يقول تشومسكي: "لا يمكن أن نقول أن النحو الذي يقترحه اللغوي هو نظرية تفسيرية تقدم في ظل المعالجة المثالية تفسير الحقيقة أن متكلم اللغة المقصود سيفهم أو يفسر أو يصوغ أو يستعمل تعبيراً يعين بطرائق معينة وليس بطرائق أخرى كما يمكن البحث عن نظريات تفسيرية أكثر عمقا، فالمتكلم الأصلي يكتسب نحواً معيناً على أساس أدلة مقيدة ومشوهة بينما يعتمد النحو على نتائج تجريدية تمتد إلى خارج نطاق الأدلة"<sup>(2)</sup> فالنحو عند تشومسكي "ذو واقع نفسي إذا كان يقدم التفسير اللائق للظواهر الملاحظة، والتفسير اللائق يعني الوصف اللائق"<sup>(3)</sup>

وكانت دعوة تشومسكي إلى علم اللغة التفسيري، نقطة تحول في الدراسات اللسانية في القرن العشرين، وبدأ تحوله بنشر كتابه "التركيب النحوية" عام 1957؛ إذ انتقد في هذا الكتاب المدرسة الوصفية التركيبية الأمريكية السابقة عليه، التي اقتصر على وصف اللغة دون تفسيرها<sup>(4)</sup> واعتمادها المنهج الوصفي التنظيري، حيث لا تميز بين المناهج التحليلية وبين موضوع تحليلها، إذ تعتمد الوصف البدائي وتترك العلامات والعلل البنوية<sup>(5)</sup> وهذا ما جعلها قاصرة على الوصول إلى المعنى العميق للعبارات اللغوية.

وقد انتقد من سبقوه في قضية تجاهل دراسة المعنى، واقتصرهم على الشكل وفي هذا يقول: "إن الكلام عن التحليل اللغوي دون الإشارة إلى المعنى كمن يصف طريقة

(4) عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص. ط: 1. تونس: الدار التونسية للنشر، 1984، ص 105

(1) ينظر : فاطمة الهاشمي بكوش نشأة الدرس اللساني العربي الحديث. ط: 1. مصر: إيتراك للنشر، 2006، ص 81

(2) اللغة و العقل، ص 12 نقلاً عن فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص 81

(3) عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات و اللغة العربية. ط: 1. بيروت: منشورات عويدات، 1986، ص 44

(4) كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص 55

(5) ينظر : صالح بلعيد، نظرية النظم. ط: بلا. الجزائر: دار هومة، 2002، ص 79

صناعة السفن دون الإشارة إلى البحر"<sup>(6)</sup>، فالمعنى جزء مهم في الدراسة اللغوية، وتفاديه يجعل الدراسة ناقصة.

ولأن النظرية التشومسكية تفرق بين القدرة اللغوية والكلام الفعلي، كان هدفها استنباط القواعد البديهية، فكان التحليل اللغوي ليس وصفا للتركيب الشكلي للكلام ولكنه وصف شامل للغة، صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا.

ومن خلال مما سبق يمكن إجراء مقارنة بين المنهج الوصفي والمنهج التوليدي التحويلي، حيث نجد أن التحليل اللغوي في المدارس الوصفية قائم على مدونة ينصرف فيها الدارس إلى تحليل النظامين الصوتي والصرفي بالاعتماد على التقطيع والتصنيف<sup>(1)</sup>، فقد اتفق الوصفيون على أن يصطبغ الوصف عندهم بالطابع التصنيفي، وأن يرتبط الوصف عندهم بلغة واحدة.<sup>(2)</sup>

ولكن هذا التحليل في نظر التحويليين لا يكشف عن البنية اللغوية، ولا عن الجمل الصحيحة من غير الصحيحة<sup>(3)</sup>، ومن هذا المنطلق أقامت المدرسة التوليدية التحويلية نقدها لهذه المدارس ومنه انطلقت حركة جديدة نزعتها تحليلية، لا تكتفي بالوصف المجرد للآليات اللغوية بل تتجاوزه إلى البحث عن الأسباب والعلل التي تجعل منها ما هي عليه بنيتها ونظامها، حيث لم تكتف بالوصف والتصنيف الناتجين عن المناهج البنوية السابقة التي تعتمد على التجزئة البسيطة التي تؤدي إلى اكتشاف الوحدات وتصنيفها<sup>(4)</sup>

وقد قلنا إن المدرسة الوصفية التصنيفية ارتبطت بلغة واحدة أما المدرسة التوليدية التحويلية تعدت هذا إلى دراسة الملكة الإنسانية العامة وقدرة الإنسان على استعمال اللغة، وتحاول أن تبني نحويا يقوم على أساس من هذه الملكة<sup>(5)</sup>.

(6) النظرية اللغوية ، تر: حلمي خليل ،ص70،نقلا عن :حلمي خليل ، دراسات في اللسانيات التطبيقية، ص58

(1) ينظر: محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي، ص140.

(2) تمام حسان، الأصول، ص239

(3) ينظر: محمود حجازي. البحث اللغوي، ص 140

(4) ينظر: التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 50

(5) تمام حسان، الأصول، ص239.

وبهذا نجد أن المدرسة التوليدية التحويلية غيرت منهج الدراسة من تصنيفي إلى تفسيري؛ يفسر التراكيب السطحية من حيث إنها نتائج لتحولات كبيرة طرأت على التركيبات العميقة<sup>(1)</sup>، فالفرق واضح بين المدرستين في استخدام المنهج لتحليل اللغة، وبالتالي اختلاف في النتائج المتوصل إليها، فالمنهج الوصفي التصنيفي، يصنف الوحدات بحسب مواصفاتها دون أن يعلل أسباب ورودها بهذا الشكل، لذلك نجدهم يغفلون عن المعنى الذي يعد أهم مكون تعتمد عليه المدرسة التوليدية التحويلية؛ حيث اعتنت هذه الأخيرة "بالمعنى اللفظي والسياقي واتصالهما بالصوت لأهميته في التحليل اللغوي."<sup>(2)</sup>؛ لأن هدفهم هو معرفة المستحيل من الجمل وكذا معرفة الجمل النواة وغير النواة.

---

(1) ينظر: عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، ص 106  
(2) نادية رمضان نجار، اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، ص 179.

